



سياق التداول في الأمثال البغدادية دراسة سوسiolسانية

باسم خيرى خضير*

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

المخلص	معلومات المقالة
يدور بحثنا في مجال السوسيو لسانيات، أو تلك الدراسات التي ربطت بين الجانب الاجتماعي في الحياة وتمثلها في اللغة المنطوقة، واخترنا متنا مهما كُتبت في زمان مهم وهو الأمثال البغدادية التي كانت سائدة في بداية القرن العشرين وجمعت في كتاب الأمثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي البغدادي، وقمنا في البحث باستخراج الظواهر الاجتماعية في الأمثال التي تجسدت عبر دوال لغوية استعملها المتكلمون في سياقات خاصة مستمدة من سياق تداول تلك الأمثال وقمنا بتحليل تلك الظواهر عبر سياق تداولها والأثر السوسiolسولوجي في تكون تلك الدلالات، وتعبيرها عن مقاصد المتكلمين .	تاريخ المقالة : تاريخ الاستلام: 2022/7/21 تاريخ التعديل : ----- قبول النشر: 2022/7/21 متوفر على النت: 2022/9/22
	الكلمات المفتاحية : الأمثال البغدادية ، سياق، تداول، ظواهر اجتماعية، سوسiolسانية.

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمة:

عليها، والسياق هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية⁽¹⁾.

وإذا تحدثنا عن منهجنا في هذا البحث وهو المنهج السوسiolسائي لسانی في دراسة اللغة وهو منهج قريب من علم اللغة الاجتماعي الذي نشأ بدوره مرتكزا على دراسة اللغة وأثر المجتمع فيها وأثرها في المجتمع بتأثير متبادل بينهما، أو هو دراسة اللغة كما يستعملها متحدثون حقيقيون في سياقات اجتماعية وحالية موضوعية. أو هو دراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معانٍ اجتماعية وثقافية، مألوفة أو غير مألوفة، ويهتم هذا العلم بدراسة العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر تلك الحياة على الظواهر اللغوية⁽²⁾.

يقوم هذا البحث على تصور مفاده: إن أي توجه يروم تحليل أي نص ما والكشف عن مميزات هذا النص، وأبعاده المكونة له، لا يكون هذا الكشف معتادا به ما لم يعتمد على سياق إنتاج النص، ولا سيما السياق الاجتماعي أو سياق التداول؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية ولا يوجد تركيب أو نص بصورة عامة لا تجد للسلوك الاجتماعي أثرا فيه. تتطور اللغة تبعا لتطور المجتمع، وتنحدر تبعا لانحداره، وتتأثر فيه، من خلال معانها بصورة أساسية، وقد تنوعت المناهج التي اهتمت بالسياق، وجعلته مرتكزا أساسيا في تحليلها للغة، فيرى (فندريس) بأن الذي يُعَيّن قيمة الكلمة في كل الحالات التركيبية إنما هو السياق إذ أن الكلمة توجد في كل مرة وتستعمل فيها في جَوٍّ يحدد معناها تحديدا مؤقتا والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها في الكلمة على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل

البحث في ضوء أنواع تلك الأمثال وتقسيمات مضامينها وهي على النحو الآتي: ما يهتم بالأكلات الشعبية، وما يهتم بالعادات والتقاليد وما يهتم بالحرف والمهن وما يهتم بالطقوس الدينية، وصلات القرابة والحيوانات الأليفة وطبقات الناس وغير ذلك من مضامين. وسنرى كيف أن الظواهر الاجتماعية ممكن أن تتجسد عبر دوال لغوية، تكون لها دلالات خاصة في سياقات تقترب من سياقات إنتاج تلك الأمثال وتؤدي المعاني التي يقصدها المتكلم.

أولاً: الأكلات الشعبية: تمثل الأكلات الشعبية والأكلات بصورة عامة جانبا مهما من عادات الناس وتقاليدهم، وتحتوي على دلالة واضحة حول سيولوجيا الشعوب، فكم من شعب يتميز بنوع معين من الأكل أو الطبخات، وعادة ما تدخل تلك الأكلات في جوانب الطقوس الخاصة بالمجتمعات، وتحوز أكلة ما أو نوع من أنواع الأكل أهمية لدى شعب ما لا تجدها عند شعب آخر ويتم التعامل مع بعض الأكلات في بعض المجتمعات في طقوس خاصة وسوف تشمل الطقوس مختلف الأحداث الاستثنائية واليومية، وتجمع بين ثنائيات عديدة. فهي جاذبة وصارمة ورسمية أحيانا، وأحيانا أخرى تبدو مقبولة وروتينية. وتتضمن الطقوس والممارسات الاجتماعية المقترنة بها جملة من المعاني والرموز الثقافية التي تستوجب تأويلها لذلك فإن دور الباحث في الأنثروبولوجيا هو فك تلك الرموز وفهم معانيها للكشف عن جوانب من الهوية الثقافية للمجتمع. فالطقوس إذن تعبّر عن القيم والمعاني والمعتقدات السائدة في مجتمعات معينة، وتقوم بمهمة دمج الفرد بطريقة أشدّ إحكاما في الكل الاجتماعي⁽⁷⁾ ولعل الخبز من أهم الأكلات التي تجد لها قدسية لدى الشعوب العربية، ونجد ذلك حاضرا في الامثال البغدادية فيقولون: "خبز رجال بيطن رجال دين، وخبز رجال بيطن أنذال صدقة"⁽⁸⁾ فللخبز دلالة عميقة في ضمير الفرد العربي وتجده اجتماعيا يدل على الوفاء وحفظ الأعراض والأملك، ويكون فيه توسع دلالي بحيث يطلق على كل أنواع الاكل بالخبز، وكذلك ففيه رمز الوفاء

ويرى (ميشال زكريا) أن منهج السوسيو ألسنية أو علم الاجتماع اللغوي يتطرق لقضايا اللغة في المجتمع ويدرس خصائص تلك اللغات في إطار المجتمع، وخصائص استعمالها، وخصائص متكلمها، والعلاقات بين البنى اللغوية والاجتماعية وتفاعلاتها، والأوضاع الاجتماعية العائدة للمتكلم والمتلقي، ووقائع التواصل وأنماط الكلام المستعمل نسبة للطبقات الاجتماعية، فاستعمال اللغة في المجتمع يرتبط بنظام السلوك الاجتماعي ويتنوع تبعاً لمن يتكلم اللغة⁽³⁾.

بدأ الاهتمام يتزايد بالموضوعات الاجتماعية اللغوية عندما أنجز (بودوان) أعمالاً تمهيدية مهمة فقد بحث التنوعات الاجتماعية والاحتكاكات اللغوية ولغات الأقليات⁽⁴⁾ فاللغة وسيلة للتفاهم وتحقق متعلقة بارتباطها الاجتماعي وتحت شعار النص يشير إلى بنيته، و ورد ضمن أفكار علم اللغة الاجتماعي تحقق اللغة في محيطها الاجتماعي وعلاقتها بحاملها⁽⁵⁾.

وفي بداية تكون النظريات الفلسفية لم يغفل التصور الماركسي للبنية على أنها من صنع الانسان دون فصلها عن الممارسات الاجتماعية، وسعت البنيوية التكوينية إلى بيان كيفية تفسير العمل الأدبي على أساس من بنيته الأيدولوجية التي هو جزء منها، فاللغة جزء مهم من ثقافة الشعوب تتطور تبعاً لتطور ذلك الشعب وتحضره وتمدنه وتنحدر وتتقهر تبعاً لانحطاط ثقافة ذلك الشعب، فهي جزء مهم من الحضارة والتمدن وتتعلق مع أطراف الحديث المكونين للحدث الكلامي وتكون أفكارهم وغاياتهم وتنوع تراكيبها ودلالاتها تبعاً لثقافة الناطقين بها داخل المجتمع الواحد⁽⁶⁾.

ستكون دراستنا في هذا البحث حول تحليل الأمثال البغدادية الواردة في كتاب الامثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي البغدادي المتوفى سنة 2006م الذي جمع فيه الأمثال البغدادية في ثلاثينيات القرن المنصرم، وسنحاول تحليل نماذج من تلك الأمثال في ضوء سياقها الاجتماعي والكشف عن العلاقة المتبادلة بين سياق التداول ومعاني تلك الامثال ومضامينها، مقسمين

المجتمعات، وهي أن النعمة والرفاهية ربما تكون طارئة عند كثير من الناس وتكون أوقات رفايتهم كالعيد الذي يجلب معه الوفرة في الأكل لكن بسبب سوء تديبرهم تزول هذه النعمة وسرعان ما يعودون إلى خصاصة العيش والإملاق وهي آفة مجتمعية ظاهرة في كثير من المجتمعات.

ومن الأمثال التي تضرب نوعاً من أنواع التكاتف الاجتماعي التي يجب أن تكون عليه المجتمعات قولهم: "طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة"⁽¹³⁾ لعل من أهم دلائل التكافل الاجتماعي ما تفعله المجتمعات في تكاتفها وقت المحن وتقديم العون للمحتاجين والفقراء ولا يكون ذلك دون استعداد نفسي لذلك، وعادة ما يضرب التكافل الاجتماعي بالأكل لأنه أهم عنصر من عناصر ديمومة الحياة ومن أبرز احتياجات الناس، ولعل المثل الأنف فيه إشارة على وجوب تكافل الشعوب وتقاسم الخيرات تحقيقاً لحياة متكافئة.

ثانياً: المرجعيات الدينية في الأمثال: تمثل الأديان جانباً مهماً في حياة المجتمعات، بمختلف انتمائها، وقومياتها وأعرافها فالعلاقة بين المجتمع والدين أو (الفرد والدين) هي علاقة معقدة إلى حد ما لكي نفهم مجرياتها، ولعل السبب العلمي لذلك يتمثل في كون الدين بطبيعته دائماً هو مجموعة من التطبيقات والممارسات التي يخضع لها وبشكل دقيق لعملية الإيمان التي يصعب قياسها عملياً ففكرة الإيمان تبني على مؤشرات يصعب قياسها ويسهل ملاحظاتها، فهي لا تشبه تطبيق القوانين الصارمة التي تعطي نتيجة محسوسة يمكن الوقوف عليها وقياسها، فالطبيعة الدينية خاضعة لفكرة الإيمان أولاً لذلك هي عملية صارمة على سلوك الفرد في حال أراد الإنسان تطبيقها وعملية هشة في حال أراد الفرد فقط التمثيل في تأديتها وليس أكثر وهذا أيضاً يعتمد على قوة إيمان الفرد بدينه ومعتقداته ومدى تصديقه وارتباطه الروحي. إن الوظيفة الطبيعية للمقدس أو المعتقد أو حتى أيديولوجية ما تشكل قوة إيمانية تحمل الفرد على تبني فكرة الإيمان والرغبة في ممارسة الدين استجابة للرسالة الدينية

في حال الإطعام، وهذه القدسية للخبز ربما لا تجدها في مجتمع آخر غير المجتمع العربي ويتوسع ليشمل العمل فيقال مثلاً: "خبزة حلال" دلالة على العمل الحلال أو "خبزة ناشفة" دلالة على التقشف أو غير ذلك من الدلالات، ولعل هذه القيمة الفريدة التي يضيفها المجتمع العربي على الخبز نابعة من كونه منحدرًا من الأرض فالقمح أو الشعير ينبت من الأرض ولا يخفى ما للفرد العربي من علاقة وطيدة بأرضه ويضرب المثل أعلاه بضرورة تبادل المنافع والتعود على مكافأة حقوق الصداقة وغيرها. وربما يضرب المثل في تهيئة أسباب الراحة للرجل فيقال: "خبزك مخبوز وميك بالكوز"⁽⁹⁾ دلالة على الرفاه الاجتماعي الذي يعيشه الفرد حيث يكون خبزه جاهزاً مخبوزاً وماؤه بارداً وهي من دلائل رفاهية العيش.

ويعد العسل من أنواع الأكل التي تحتفظ بأهمية بالغة في الموروث العربي، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم دلالة على الشفاء في قوله تعالى: "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (النحل 69) ولم ينل أي مأكول أو مشروب مكانة مهمة مثل ما نال العسل في الموروث الديني والشعبي العربي ثم نقل في الموروث الحديث عن ابن مسعود: (عليكم بالشفاءين العسل والقرآن)⁽¹⁰⁾ وقد جاء العسل في كثير من الأمثال البغدادية منها قولهم: "خلي العسل بجراره، لما تجي أسعاره"⁽¹¹⁾ ويضرب في التريص في البيع والشراء واستعمال الأوقات المناسبة في البيع والشراء وتحيز الفرص المناسبة لذلك، وربما اختير العسل لما من خاصية الخزن الطويل التي يتميز بها.

ويضرب مثلاً في زوال النعمة قولهم: "راح العيد ومركته وكل من رجع لحركته"⁽¹²⁾ يضرب هذا المثل كناية عن زوال النعمة وله جانبان ظاهري مجازي، فالجانب الظاهري هو زوال وقت الأعياد وما يجلبه معه من وفرة في الأكل المجاني؛ فالمرقة دلالة على الأكل وبعد زوال تلك الأوقات يعود الناس إلى شطط العيش، ومعنى مجازي يشير إلى حالة اجتماعية بارزة تظهر في كثير من

"(هود123) وقوله: "وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا" (الأحزاب3) وغيرها من الآيات فصار لازماً في عقائد المجتمعات الإسلامية والعربية أن التوكل على الله يعطي طمأنينة نفسية للفرد، ويساعده على تحمل ما يمر به من ظروف؛ لأنه متأكد أن كل شيء بعينه سبحانه وتعالى؛ لأن الفرد عندما ينطق بهذا المثل يكون قاصداً ومتمنياً (لطف الله بعباده) فهو يتفاءل بهذا اللطف فمعنى (فال الله ولا فالك) إني أتفاءل بما يأتي من الله دونما البشر.

وكثيراً ما يتم تناص الأمثال البغدادية مع الآيات القرآنية واستعمالها في سياق يستفاد منه من دلالة الآية في تحقيق المعنى المقصود، منه قولهم: "قامت القيامة وفار التنور"⁽¹⁷⁾ ويضرب هذا المثل في سياق اشتداد هياج القوم واضطراب أمرهم، أو في غضب الشخص واشتداد اضطرابه، ويتناص هذا المثل مع قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زُوجِينِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (هود40) وربما يستفاد من دلالة فار؛ لأن "فار" معناه انبعث بقوة؛ واختلف الناس في التنور، فقالت فرقة - وهي الأكثر - منهم ابن عباس ومجاهد وغيرهما: هو تنور الخبز الذي يوقد فيه، وقالت فرقة: كانت هذه أمانة جعلها الله لنوح، أي إذا فار التنور فاركب في السفينة؛ ويشبه أن يكون وجه الأمانة أن مستوقد النار إذا فار بالماء فغيره أشد فوراناً، وأحرى بذلك. وروي أنه كان تنور آدم عليه السلام خلص إلى نوح فكان يوقد فيه، وقال النقاش: اسم المستوقد التنور بكل لغة؛ وذكر نحو ذلك ابن قتيبة في الأدب عن ابن عباس⁽¹⁸⁾ فإذا كان المراد بآية تنور الخبر فقد ركز في ذهنية العراقي غليان التنور وما يتعلق به من اشتداد الحرارة.

ثالثاً: التمييز بين طبقات المجتمع: لعل التمييز الطبقي من أكبر الظواهر التي تعاني منها المجتمعات وهو ظاهرة اجتماعية معروفة، فتطفو فوق سطح البنية الاجتماعية مجموعة من الثقافات التي تتركز على التمييز بين طبقاته بمختلف الاتجاهات

معتقد. لذلك يؤمن الناس بدينهم أو معتقدتهم ويمارسون العبادات والتقاليد والممارسات بشكل يلي عن استجابة طبيعية للدين أو المعتقد، التي تتمثل في قدرة الفرد على أن تكون ممارساته الإيمانية متسقة بين النظري في الممارسة الدينية والتطبيقي؛ لذلك تكون العلاقة طردية بين قوة الإيمان وانعكاس التطبيق على السلوك الفردي هذا في الحالات الطبيعية للإيمان⁽¹⁴⁾. ولعل حضور المرجعيات الدينية في الأمثال البغدادية واضح كونها تعبيراً عن حياة المجتمعات وأفكارهم وممارساتهم اليومية ولغة ما يعتقدون به، ومنهم قولهم: "اشخلى شعبان ببطن رمضان"⁽¹⁵⁾ يعتبر شهر رمضان وشعبان من الأشهر المباركة في عقائد المجتمعات المسلمة، وكثيراً ما تساق الأمثال انطلاقاً منهما، ويعني المثل الأنف دلالات متعددة باختلاف السياقات فإذا كان في سياق المنة على الآخر الذي لم يترك سوى محصلة التعب والجهد سيق بمعنى أن من صام آخر شعبان توهماً بأنه أول رمضان ثم تبين أنه شعبان لم يحصل إلا على التعب والجوع والعطش فلا منه لشعبان على رمضان ولا منة لسابق على لاحق بما لا يصلح أن يكون محل منة، ولا يصلح أن يطالب بجزاء أو شكور، وقد يساق المثل بسياق المتعجب بمعنى أن ما جمعه شعبان استهلكه رمضان؛ لأن من عادات المجتمعات العربية والمسلمة بصورة عامة أن يكون هناك ركود في العمل طوال شهر رمضان فيكون هناك جمع للأموال والأغذية ليتم إنفاقها في رمضان وهذا يكون دلالة الإحسان العظيم ويضرب للأشخاص المحسنين لبعضهم.

ومن الأمثال المتداولة كثيراً بين عوام الناس قولهم: "فال الله ولا فالك"⁽¹⁶⁾ ودلالة هذا المثل واضحة في الاتكال على الله سبحانه وتعالى في ضمير ومعتقد المجتمعات المسلمة، وأن لا شيء منه وكل ما يأتي منه صالح وجميل، بعكس ما يأتي من البشر، وهي من العقائد المهمة التي أكد عليها الدين الإسلامي في عدد من الآيات القرآنية قوله تعالى: "وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَعَابُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

الفلسفة أن تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى تاريخ صراعات طبقية فإن تاريخ أي مجتمع هو في جوهره تاريخ للصراع الطبقي داخل ذلك المجتمع صراع بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا ويتمثل ذلك الصراع في سعي الطبقة العليا المحافظة على سيطرتها على زمام الأمور العام في الحياة وعدم ترك المجال للطبقة الدنيا من التسلق نحو تلك المقاليد، وسعي الطبقة الدنيا نحو إيجاد مكان لها داخل مجالات السيادة⁽²³⁾. ولعل المثل أعلاه يجسد هذا الصراع، صراع يتمحور حول محاولة الطبقات الدنيا مزاحمة الطبقات العليا من المجتمع وأوجه الرئاسة والسلطة، وهو صراع مشروع بطبيعته.

ولعل من الأمثال البغدادية التي تبين ثقافة التمييز بين طبقات المجتمع وذلك قولهم: "الفكر ميتعدى على أهله"⁽²⁴⁾ ويضرب للناس يستحقون ما قدر لهم من فاقة العيش وشظفه؛ وذلك لأنه حين يظهر عليهم اليسر تلازمه عندهم علامات البذخ والاسراف والاستهتار بالمقدرات، فكأن الفقر حريا أن يلازمهم، وهي من المغالطات الكبيرة في المجتمعات، وربما الأمر نابع من ثقافة احترام المال عند الميسورين؛ نتيجة للجهد والمشقة في جمعه، وثقافة التبذير والإسراف عند الأغنياء الطارئين، أو ممن كان غناهم دون جهد أو مشقة بذلت منهم، وتلك من الثقافات السائدة في مجتمعاتنا.

وكذلك قولهم: "لو عطس الفقير كالمو له يلعنك الله ولو ضرط الزنكين كالمو له يرحمك الله"⁽²⁵⁾ فنرى كيف أن نظرة المجتمع للأفراد تحدد تصرف الناس تجاههم فمهما فعل الفرد الفقير الحال، ولو كان فعله اعتياديا لاقى اشتمازا من الناس ورفضاً، ومهما فعل الفرد ميسور الحال ولو كان فعله مستهجنا لاقى قبولا وترحيبا من الناس، ويضرب المثل لتأثير الغنى والفقر على نظرة المجتمع للأفراد سلبا وإيجابا.

وكذلك قولهم: "لو محروم لو متخوم"⁽²⁶⁾ ويضرب هذا المثل احتجاجا على المفارقة في العيش بين فقير لا يجد قوت يومه يعيش في فاقة وإملاق شديدين، وبين من تتوفر له كل ظروف

سواء أكان التمييز طبقيا يعتمد على طبقات الناس فيكون التمييز بين غنهم وفقيرهم أم بين أجناسهم فيتم التمييز بين الذكور والإناث أم بين مناطقهم فيتم التمييز بين سكان المدن والأرياف وغيرها من أنواع التمييز، وبما أن اللغة تعد من أهم الأدلة على ثقافة الشعوب واللسان الناطق بثقافتهم وطرق تفكيرهم فقد برزت هذه الظاهرة في الأمثال البغدادية متمثلة ببعض الأمثال وهنا نحاول أن ننقل مصطلح التمييز الطبقي من مجال علم الاجتماع إلى مجال علم اللغة. يرتبط المفهوم المقترح حول التمايز الطبقي اللغوي بمصطلح الطبقة الاجتماعية الذي يدل على مجموعة من البشر تربطها روابط اقتصادية وثقافية واجتماعية مشتركة تميزها من غيرها من المنتمين للطبقات الأخرى، وينتج هذا التمايز الاجتماعي ميل أفراد طبقة اجتماعية معينة نحو أبناء الطبقة العليا أنفسهم علميا أو اقتصاديا أو فكريا عن بقية مكونات المجتمع. ويستخدم أبناء الطبقة العليا في أكثر المجتمعات الإنسانية وسائل السلطة بأشكالها السياسية والاجتماعية والثقافية... إلخ للسيطرة على الفئات الدنيا من المجتمع، وكي تتحقق السيطرة لابد أن يتحقق التمايز بين الطبقتين وتتميز الطبقة العليا من الدنيا⁽¹⁹⁾. ويتجلى هذا المفهوم واضحا في الأمثال التي سوف نسوقها في بحثنا، ففي قولهم: "شنو العصفور وشنو مركته"⁽²⁰⁾ يضرب هذا المثل استصغارا لقدر بعض الناس والضئيل منهم خاصة وتصوير أنه لا يأتي من جهدهم شيء وربطت هذه الدلالة بما تركز لدى الناس من ضالة حجم العصفور، وهو طائر ضئيل الحجم خفيف الوزن؛ لذلك فمركته غير مغذية لأن لا لحم كاف فيه.

وقولهم: "صعلوك ويزاحم الملوك"⁽²¹⁾ ويضرب في الوضع ينافس أرباب الوجاهة، و"الصُّعْلُوكُ: الْفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ، زَادَ الْأَرْهَرِيُّ: وَلَا اغْتِمَادَ"⁽²²⁾ وفي سياق التمايز بين طبقات المجتمع جاء تصور الفلسفة الماركسية عن الصراع الطبقي وعلاقته بالتاريخ منذ العصور القديمة حتى عصرنا الحديث، وترى هذه

الأمثال، وثمة حرف لها شأن كبير في المجتمع يتمتع أصحابها بالإجلال والإكبار وأخرى تقل أهمية عنها، وتضرب الأمثال تبعاً لذلك بتلك الحرف وأهميتها، كقولهم: "إذا عزّل الكصاب كعد ال(جلب) بمكانه"⁽²⁹⁾ ويضرب الوضيع الذي يشبهه بذي شأن ويزاحم كبار المجتمع، ولعل ذلك جاء من تقدير المجتمع لمهنة القصابة وتحقيرهم لحيوان الكلب. وفي السياق ذاته يقولون: "إذا كام الكصاب كعد الجلب بمكانه"⁽³⁰⁾ وقولهم: "أربعين حاجج ما كتلوا فارة"⁽³¹⁾ ويضرب للتقليل من شأن قوم، ولا يصدق القتل على الفارة وهي من أدوات الحياكة، لكن يضرب المثل استصغاراً بالناس، وربما أضفى عليه ما لمهنة الحائك من تقدير متواضع في المجتمعات العربية. فاستعلمت لفظة الحائك مع كل حملتها الدلالية للتصغير من شأن قوم لا يستطيعون فعل شيء ما.

ولعل الوصف اللغوي لا ينحصر في الاعتراض على الأوضاع الاقتصادية التي تطال المجتمعات بل يتنوع ذلك الوصف ليشمل الحديث عن مفارقات الزمان وتحولاته التي تصيب الأفراد بشكل خاص، فيساق لذلك بعض الحرف والمهن التي تعبر عن أعلى الهرم المجتمعي مقابل ما هو دون ذلك فيقولون: "بنت الوزير عالحصير وبنت النداف عالجتاف"⁽³²⁾ ويضرب في تقلبات الدهر ومفارقات أحكامه فإن بنت الوزير التي عاشت في أحضان الدلال والنعمة أصبحت من شظف العيش تنام على الحصير وبنت النداف (وهي مهنة صناعة الوسائد والفرش والألحفة) أصبحت تحمل على الاكتاف. وهي كناية عن تلك التقلبات التي تطال الأفراد في حياتهم. لقد عكست اللغة التي تم بها التعبير عن هذه الظاهرة الاجتماعية ما تحويه من مرونة وقدرة على تمثيل القيم الحضارية التي توجد في المجتمعات وانعكست تلك القيم الحضارية على مفردات اللغة في الأمثال البغدادية، وقد يضطر المتحدث إلى النزول لأدنى درجات الألفاظ غير المرغوبة اجتماعياً أو التي يتحاشاها المتكلمون ما دامت تلك الألفاظ تعبر عن الوصف اللغوي المناسب للظاهرة الاجتماعية المراد تمثيلها،

الحياة ومقوماتها بما يزيد عن حاجته. لقد مثل الشعور بالحرمان مادة غنية للأدباء والشعراء منهم بخاصة، وقد نسجت حول ذلك قصائد مثلت حال الشعوب العربية والمجتمعات التي تن تحت وطأة الفقر نتيجة ما تعرضت له الأمة العربية من استعمار جلب معه نهب للمقدرات وعاش الناس تحت وطأة العوز والفاقة.

وكذلك قولهم: "ما عنده جبير إلا البعير"⁽²⁷⁾ ويضرب لمن يظن أن مقامات الناس تعتمد على حجم أبدانهم، دون ما لديهم من مؤهلات ثقافية أو علمية أو معرفية، واختير البعير لأنه أكبر الحيوانات المعروفة في المجتمع العربي.

رابعاً: الحرف والصناعات: الحرف اليدوية والصناعات التقليدية أحد ثوابت تراثنا العريق وكنز الشعوب والمجتمعات التي لا يمكن أن ترحل من الذاكرة مهما مرت السنين، وفي العالم العربي والإسلامي توجد عشرات الحرف اليدوية التي توارثت عبر الأجيال من جيل إلى جيل حاملة معها البصمة الوراثية للإبداع والجمال وللدقة والإتقان، كما أنها ما زالت أحد علامات إبداع الإنسان بيديه فضلاً عن كون الحرف والفنون التقليدية تاريخاً عريقاً لدى مختلف الشعوب والحضارات وتعبيراً حقيقياً عن ثقافة تلك الشعوب ومدى تطورها، والاهتمام بها واجب إنساني ووطني ورسالة عميقة الأهداف يجب أن تصل للأجيال الحالية والقادمة، وهي مسؤولية كبرى يتحمل أعباءها المهتمون بهذا الإرث الثقافي المحلي كونها الهوية الحقيقية لتلك الشعوب، لذا نرى الاهتمام بها كبيراً والمحافظة عليها مسؤولية نابعة من أنها تعبر عن كينونة المجتمعات وجزء كبير من ثقافتها وخسارة هذه الحرف واندثارها يعتبر خسارة كبيرة لجزء كبير من ثقافة تلك المجتمعات⁽²⁸⁾. وسوف نحاول في هذا الجانب من البحث نقل هذا الجانب الاجتماعي إلى ميدان اللغة، والكشف عن تمثل الحرف والصناعات في اللغة المحكية وخصوصاً في الأمثال البغدادية في اللغة وصيرورتها دوالاً لغوية استعملها المتكلمون في سياقات خاصة استلهمت تلك الدلالات من السياق الاجتماعي لإنتاج تلك

وكذلك قولهم: "الطباخ مياكل من طبخته"⁽³⁷⁾ يضرب للنصح لمن يحرم الاستمتاع بما تنصعه يده أو المتعفف عما في حوزته.

خامساً: القربات والجيرة: تحكم المجتمع العراقي بصورة خاصة مجموعة من الأعراف والتقاليد التي تضيء بعض الخصوصية في التعامل مع القربات وتميز بعضهم عن بعض، وتعطي لبعضهم خصوصية دون الآخر في بعض المواقف، وكذلك ما للجار من أهمية كبيرة مستقاة من اهتمام الدين الإسلامي به وقد تتغير كثير من الأنظمة العامة الحاكمة في المجتمعات نتيجة لتغير سياسي أو اقتصادي أو استعماري لكن تلك الأنظمة الاجتماعية لا تلبث أن تبقى ساكنة محافظة على دقائق تفاصيلها ويتميز النسق القرابي بأنه نواة المجتمعات ويتداخل مع الأنظمة الاجتماعية الأخرى ومن حسن حظ الإنسان -في النظرة العربية- أن يكون له أعمام وأحوال كثيرون خاصة إذا كانوا أصحاب مال ووجاهة؛ لأن ذلك يؤدي إلى الاعتزاز بهم وكان العرب يقولون: رجل معم إذا كان عنده أعمام ورجل مخول إذا كان عنده أحوال أو كريم الأعمام والأحوال على سبيل المدح⁽³⁸⁾.

وقد تمثل ذلك في أمثالهم البغدادية، إذ يقولون: "ثلثين ابن الحلال عالخال، وثلثين ابن الحرام عالعم"⁽³⁹⁾ يأتي هذا المثل ليمثل الخصوصية الكبيرة التي أعطاهها المجتمع العراقي للخال، ولا أريد أن أميز هنا بين العم والخال؛ لأن نسب الرجل من جهة أعمامه لا أحواله، فلا يمكن تفسير هذا المثل بأنهم أردوا بأن الرجل إذا كان ظاهر النجابة كان ذلك شهما بأحواله، وإذا كان سيء الخلق نسبوا ذلك لأعمامه، ولكن ربما جاء هذا المثل ناطقا بلسان حال النساء في المجتمعات فهن أقرب إلى اهلن من أهل أزواجهن، أو ربما يكون المثل في سياق النصيح بالتخير في النساء عند الزواج.

ويقولون: "الخال متخلي والعم متولي"⁽⁴⁰⁾ يراد به أن الخال بعيد عن مسؤولية تربية أبناء أخته وربما الأمر منوط أكثر بالعم، وقد تضرب الأمثال في القربات على سبيل المجاز كقولهم: "الشر خالي وأنا ابن اخته"⁽⁴¹⁾ ويضرب لمن يتداعى على الشر بدافع من

كقولهم،: "الدباغة تجوح لخر الكلب"⁽³³⁾ ويضرب في الضرورات التي قد يلجأ إليها الفرد، ولكن التعبير الكتابي لم يكتف بالألفاظ التي تدل على لجوء الفرد للضرورات بل اختار الألفاظ التي أسفل هرم التعبير الاجتماعي وهي ألفاظ الفضلات التي نادرا ما تستعمل للتعبير عن أقصى الضرورة التي يراد التعبير عنها، علما أن مهنة الدباغة كانت تستعمل فضلات الكلاب لأغراض الدباغة لما تحتويه من المواد القلوية.

وربما تذهب الأمثال كوسيلة من وسائل حث الأفراد على العمل وتجنب البطالة تلك الظاهرة التي لا تنفك وبفعل عوامل عديدة تنال من كثير من المجتمعات فيتم توظيف بعض الأمثال لحث الأفراد على تجنب الكسل والانتكال على العمل في كسب قوتهم وقد شكلت البطالة مشكلة حقيقية عبر العصور وتركت بصمتها على الحياة بصورة عامة وعلى شريحة الشباب بصورة خاصة وهي بحد ذاتها تعطيل إخراج قدرات عالية مكبوتة لدى الشباب مما يؤدي إلى تعطيل التنمية بصورة عامة ومن ثم ذهب تلك الطاقات ربما إلى متاهات العادات السيئة كالإدمان والجريمة وغيرهما⁽³⁴⁾ فكان لا بد من تحشيد الشباب على العمل وحثهم على مزاولة الحرف، وتعبير اللغة عن ذلك عبر الأمثال، فيقولون: "الصنعة بالإيد محبس ذهب"⁽³⁵⁾ ويتمثلون بالذهب لأنه أعلى معدن موجود لدى الأفراد، فيكون التحفيز بالتمثيل بأعلى وأعلى ما يمتلك الإنسان.

وقد تكون الأمثال طريقة ووعاء لنقل النصائح والإرشادات المجتمعية، وتنبه المجتمعات عما يدور فيها دون أن تنتبه، فكثير من الآفات المجتمعية تتسلل إلى جسم المجتمع دون أن يحس بها أفرادها، ويتمثلون بقولهم: "ضرطة وتاهية بسوك الصفاير"⁽³⁶⁾ ويضرب للهنة تقع فلا يكون لها أثر بين الناس؛ لانشغالهم بما يصرفهم عن مثلها، ويضرب بسوق الصفاير المثل؛ لأنه من الأسواق التي يكثُر فيها الضجيج بحيث أن أي صوت يصدر فيه لا يمكن تمييزه لكثرة الضجيج فيه، ولعل المثل هنا يؤدي دوره في النصيح والإرشاد الموجه نحو الأفراد في داخل المجتمعات.

من مكانة دنيا في العقل الجمعي العربي فهو دالة على الخسة والتمرد ونكران الجميل العاصي المتمرد المطرود من رحمة الله. وقد تأتي الأمثال البغدادية لتعميق الحس الوطني وتلحظ فيها نزعة وطنية واتجاها نحو استقلالية الوطن وتوجها نحو تعظيم كل ما هو وطني وإن كان متواضعا ونبذ كل ما هو خارجي وإن كان براقا وجيدا، فيقولون: "زوان البلد ولا حنطة الجلب"⁽⁴⁸⁾ يأتي المثل تعظيما لكل ما ينتجه البلد وإن كان متواضعا ونبذ كل ما يأتي من الخارج وإن كان جيدا مستساغا، هذا الدعوات تأتي لتعميق استقلالية الرأي الوطني، وضرورة تحلي الشعوب والمجتمعات، بواعز الصبر وتحمل المشاق؛ لأن كل ما يأتي من الخارج لا يأتي اعتبارا بل وفق شروط تفرض، وأثمان تدفع. وقد تأتي الأمثال لتعالج قضية من قضايا الحكم والسياسة ولا سيما النماذج السيئة منها، وهو ما تعج به المجتمعات، وأنظمة الحكم من اختلال واضح وتشظ، فيقولون: "السفينة من تكثر ملابحها تغرك"⁽⁴⁹⁾ ويضرب في أن الحكم لا بد له من قيادة موحدة مركزية قادرة على اتخاذ القرارات وبعبكسه وفي حال تشظي القيادة تؤدي إلى انهيار حكم المجموعة وغرقها، وهو درس كبير في مركزية الحكم والقيادة والابتعاد عن الأهواء في الحكم. ويتوغل المثل الشعبي في دقائق سلوكيات الناس وطرق عيش حياتهم، وضبط أنظمة الحياة الاجتماعية، وعدم الاغترار بسلوكيات الناس الظاهرة، وضرورة أن يكون هناك وسطية في علاقات الناس مع بعضهم، فلا افراط في المعاشرة ولا تفريط في الاعتزال. يقولون: "السلام جر كلام والكلام يجر بطيخ"⁽⁵⁰⁾. وقد تأتي الأمثال لضبط نسق الحياة الاجتماعية وتوعية الأفراد نحو الابتعاد عن بعض السلوكيات الخاطئة، فيقولون: "شهوة العجوز حصرم"⁽⁵¹⁾ فيضرب لتفاهة الافكار وغرابة الطلب، ثم يقولون: "الشيب عالجاهل عيب"⁽⁵²⁾ يضرب لمن يقع تحت إمارات الشيخوخة قبل أوانها، تلك الأمثال تحاول ضبط نسق العلاقات والتصرفات في المجتمع وتختار دوال مجتمعية كالعجوز والجاهل.

طبعه وربما يراد منه التحذير بعد الاحتكاك به وغالبا ما يأتي لفظ الخال مصاحبا للفظ العم في الأمثال كقولهم: "عم أولاد؟ خال ابنية؟"⁽⁴²⁾ ويضرب المثل استفهاما استنكاريا لنفي أي صلة قرابة مزعومة بالآخرين، فهو في القوم من شيء لا هو من أرحامهم ولا من عصبهم، وكثيرا ما يأتي المثل حين يُكلف شخص لمساعدة قوم أو الإنفاق عليهم، فيأتي هذا المثل رفضا لذلك. وضمن علاقات الأرحام قد يدخل الجار طرفا أساسيا في تلك العلاقات، مستمدا ذلك من الاهتمام الكبير الذي أولاه الدين الإسلامي الحنيف للجار حتى جاء في الموروث الديني: "ما زال جبرئيل (عليه السلام) يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"⁽⁴³⁾ وجاءت كثير من الأمثال البغدادية متضمنة الجار بما يحمله من حمولة دلالية ومؤدية أغراضا معينة ليس كلها تأتي في التركيز على حسن الجيرة بل قد تؤدي عكس ما متوقع منها، كقولهم: "صباح الخير يا جاري انت بدارك وأنا بداري"⁽⁴⁴⁾ ويضرب المثل في ترجيح عدم مخالطة الجيران لما يجلبه ذلك من تعد على خصوصية الأفراد، منعا من الألفة الزائدة، وقولهم: "كومة حجار ولا هالجار"⁽⁴⁵⁾ و يضرب ذما في الجيران، وربما جاءت الأمثال لتعكس حالة الألفة بين الجيران والتوصية بضرورة ودهم كقولهم: "جارك بخير انت بخير" أو "جارك ثم جارك ثم جارك"⁽⁴⁶⁾ سادسا: السلوكيات العامة: يعني بحثنا في هذا الجزء بالبحث في السلوكيات العامة التي يتصف بها الأفراد في المجتمعات، وتؤثر تلك العادات على النسيج المجتمعي بصورة عامة سلبا وإيجابا، ففي السلب تؤدي إلى ضعف الروابط التي تشد من قوة المجتمعات، ويحاول بحثنا تسليط الضوء على بعض العادات السيئة التي رصدتها الأمثال البغدادية، وحاول المتكلمون معالجتها عبر مجموعة من الأمثال التي تسلط الضوء على عادة ما والتحذير منها، ويستعمل في ذلك دوال معجمية تؤدي أغراضها التي سيقنت لها، فيضربون مثلا قولهم: "رزق الخسيس لإبليس"⁽⁴⁷⁾ يضرب عندما يكون الشيء التافه الضئيل حصة لوضيع، فيأتي المثل تبريرا لذلك. واستعملت الدالة (ابليس) لما لها

عليه، يكولولها ليش تضركين عليه، تكول: شراح يطلع غير بومة⁽⁵⁷⁾ وهي من زعمهم ان سألوا البومة فأجابتهم بذلك، ويضرب بأن السعي نحو إصلاح النفوس التي درجت على الذل وطبعت على المهانة لا جدوى منه.

ويقولون: "تريد أرنب أخذ أرنب تريد غزال أخذ أرنب"⁽⁵⁸⁾ وهي من زعمهم أن الأسد وابن آوى صادوا غزالاً وأرنباً فقال الأسد يخير ابن آوى فيما يرغب فيه، وظاهر قوله لك أن التخيير أمر واقع؛ لأن القوة هي من تتحكم بالخيارات، ويضرب للأمر يكون له ظاهر الرفق واللين وباطن التعسف، وأن التحكم في تحديد المصير يكون لسلمة القوة، وهو قانون متعارف عليه.

ويقولون: "ثور الله بأرض الله"⁽⁵⁹⁾ الراسخ في المخيال العربي أن الثور رمز للغباء والقوة دون العقل والبلادة ويقولون: "ثور معمم"⁽⁶⁰⁾ يرمزون لطائفة كبيرة من الذين يضعون عمامة العلم على رؤوسهم من غير معرفة ولا علم وهم كثيرون في كل مكان وزمان.

ويقولون: "جا الجمل يسوي كرون كصوا آذانه"⁽⁶¹⁾ وهو من مخيال المجتمع العربي أن الجمل حسد الثور للقرون التي لديه، فأراد مثلها، ولكن عوضاً عن ذلك اقتطعوا له آذانه. ويضرب لمن يسعى لشيء لا يلائمه وعوضاً عن ذلك يحرم ما دون ذلك.

ويقولون: "خنزير وعاصي بجزرة"⁽⁶²⁾ الخنزير في المخيال العربي رمز للقدارة والخسة والدناءة والخبث، لذا سيق المثل للمتمكن الذي لا يمكن النيل منه. وثمة أمثلة كثيرة ولكن سنعرض عن بقيتها خشية الإطالة.

ثامناً: المكان والمناطق والأحياء: تمثل الأماكن والأحياء جزءاً مهماً من الذاكرة المجتمعية العراقية، وتتخذ دوالاً نحو مقاصد يسوقها المتحدثون، مستقاة من مميزات تلك الأماكن، وما يخلد في ذاكرة المجتمعات حولها، ف"المعايير الإنسانية في العلاقات الاجتماعية تحتاج إلى أدوات تحليل قادرة على رنط السلوكيات اليومية بحيوية النظم اللغوية، كما تحتاج إلى آليات واقعية قادرة على تكثيف الظواهر الثقافية باعتبارها أشكالاً للتفاعلات

ثم يضربون مثلاً لأسمى أبعديات الحياة الإنسانية وهي الصداقة لعظم مكانها في المجتمعات الإنسانية وفي النفوس يكون الحصول على اليسير منها عين الربح العظيم بخلاف أمور التجارة والبيع والشراء، فيقولون: "الصداقة بالثقال، والبيع و(شراً) بالقنطار"⁽⁵³⁾ وحيء بالدالة المثقال؛ لأنه من أدوات وزن الذهب ليدل على الصداقة تعادل الذهب في قيمته، وحيء بدالة القنطار وهو وحدة قياس الكتل الكبيرة في الجانب الآخر من المفارقة.

سابعاً: الحيوانات: تمثل الحيوانات جانباً مهماً في الثقافة المجتمعية، وتتخذ الحيوانات رمزية متفردة في حياة الناس بصورة عامة والعرب بصورة خاصة، فكل حيوان له رمزيته الخاصة المستقاة من الموروث الفكري لديهم، وقد تجلى ذلك في أمثالهم فاستعملوا الحيوانات كدوال على مجموع من المضامين التي أرادوا تضمينها في أمثالهم. لقد شغف العرب بالحيوانات منذ القدم وضجت به أشعارهم وأمثالهم وتشبيهاهم حتى أصبح الحيوان عنصراً هاماً في بنية التفكير الأسطوري العربي، فلا يتحدث العربي عن الشجاعة دون ذكر الأسد ولا عن المكر دون ذكر الثعلب، ولا عن الصبر والتحمل دون ذكر الجمل، كما ساهم المخيال العربي في بناء نماذج حيوانية شكلت صورة خصبة للأمثال والحكم والحكايات، ورفع الحيوان إلى مرتبة الآلهة في عصور غابرة؛ وهذا ناتج عن طبيعة حياة العربي الصحراوية المفتوحة الموحشة، التي جعلته يألف حيوانات ويحبها ويستوحش أخرى فينفرها⁽⁵⁴⁾.

ويقولون: "البزون لها سبع أرواح"⁽⁵⁵⁾ من المخيال العربي والعراقي الثابت أن اللقطة سبع حيوات، فمهما حاولوا قتلها تنجو نتيجة لكثرة أرواحها، ويضرب المثل لمن يتعرض للمهلكات فينجو منها تكراراً ومراراً. وحيوان البومة مكانة خاصة في تفكير العراقي والعربي بصورة عامة، فهي رمز للتشاؤم والقبح الشكلي؛ لذا ورد ذلك في الأمثال البغدادية، قالوا: "البومة لو بيها خير ما جان عافها الصياد"⁽⁵⁶⁾ ويضرب فيما يعرض عنه لتفاهته وعدم الانتفاع به، ويقولون: "البومة من يطلع ابنها من البيضة تضرك

ويقولون: "فحط الخل بالبصرة"⁽⁶⁶⁾ ويضرب تهما لمن يدعي أنه يملك شيئا لا يملكه أحد غيره، واختيرت البصرة لأنها تملك من مزارع النخيل وإنتاج التمور ما يتبعه إنتاج وفير للخل فلا يتصور أنها تخلو منه.

ويقولون: "قيم الركاع من ديرة عفج"⁽⁶⁷⁾ ويضرب لمن يمتن مهنة غير رائجة، واختيرت مدينة عفك الجنوبية؛ لأنه في وقتها كانت مدينة فقيرة وكان سكانها لا يلبسون أحذية فلا تروج مهنة (الركاع) أو الاسكافي.

ويقولون: "كولة المصلاوي، كلمن قهوتو من كيسو"⁽⁶⁸⁾ ويضرب في تفرد كل شخص بما يتعلق بخاصة نفسه من نفقة وغيرها، فمن طبائع الناس أن يتزاحم الأصحاب في خروجهم على دفع مصاريف الأكل والشرب وما سواهما، وإذا أريد أن يتكفل كل شخص بنفقة نفسه، سيق هذا المثل، واختيرت مدينة الموصل؛ لأن المركز في ذاكرة الفرد العراقي أن من طبائع أهل الموصل ألا تكون هذه المجاملات قائمة بينهم، فيتكفل كل شخص بنفقة نفسه، وقد يذكر المثل اختصارا بين الرفقاء فيقال: (مصلاوية) لتعطي هذه الكلمة الدلالة نفسها.

نتائج البحث

خرج البحث إلى نتائج أهمها:

1. مثلت الأمثال البغدادية جانبا مهما من ذاكرة المجتمع العراقي، وعكست ثقافته، وتحولت إلى دوال لغوية استعملها المتكلمون في مقاصد معينة استمدت تلك الدلالات من سياق إنتاجها وفهمها الاجتماعي وجاءت الأمثال البغدادية بشكل يحمل تكثيفا عاليا من المعاني في جمل قليلة ومختصرة اختزلت المواقف وعبرت عن مقاصد المتكلمين.

2. تمثل الأكلات الشعبية والأكلات بصورة عامة جانبا مهما من عادات الناس وتقاليدهم وظهر ذلك جليا في الأمثال البغدادية، وتحوي على دلالة واضحة حول سيولوجيا الشعوب، ومثلت دلالات استمدت من فهم الشعب العراقي وطريقة تعامله مع تلك الأكلات.

الرمزية، ومضامين معرفية لإشباع رغبات الفرد في التواصل مع ذاته ومُحيطه، والتعامل مع الآخرين باعتبارهم بؤرة لدائرة المعنى المعرفي، التي تتداخل مع شخصية الفرد وسلطة المجتمع. وهذا التداخل ليس حركة ميكانيكية كعقارب الساعة التي تُشير إلى الزمان، وإنما هو حركة قصديّة واعية في ماهية الكيان التاريخي، لإعادة تفسير الزمان، ليس كشيء مضى وانقضى، وإنما كمنقطة ارتكاز جوهرية في المكان الذي يُعاد بناؤه باستمرار، ويتم استحضاره من ذاكرة اللغة، لحراسته من الغياب، وحمايته من أنماط التفكير الاستهلاكي، وقوالب الوعي المُزَيَّف. وإذا كان الزمان وجودًا للمعنى (المدلول) في المبنى (الهيكلي الوظيفي الحاضن للمدلول)، فإن المكان تجسيد لتصورات الفرد عن كينونته، ومفاهيمه حول الحياة، في ظل حركة الزمان المُندمجة مع التغيرات الطارئة على الفكر الإنساني، وتحولات الشعور، والمنظور الأخلاقي، ومصادر المعرفة⁽⁶³⁾.

وقد جاء المكان فاعلا اجتماعيا في الأمثال البغدادية، جسد الذاكرة المجتمعية العراقية، وتحول إلى دوال لغوية، كقولهم: "تيل المعظم عالكرداة"⁽⁶⁴⁾ ويضرب لمن يكون ثقلا على الناس لا يمكن التخلص منه، ويضرب المثل لما ارتكز في ذاكرة المجتمع البغدادي، في أن كثيرا من الحالات تكون منطقة باب المعظم ثقلا على منطقة الكرداة، سواء في قصة عزم الوالي البغدادي داوود باشا الاستحواذ على بعض بساتين الكرداة لوقفها لجامع الامام الأعظم، أم عندما أريد كسوة قبة الإمام أبي حنيفة النعمان بالذهب فقاموا بجباية الأموال من الناس ومنهم أهالي الكرداة، مع أنهم ليسوا من مذهبهم وغير ذلك من الأقوال التي تصب في هذه الدالة.

ويقولون: "باب بغداد تنسد وحلوك الناس ما تنسد"⁽⁶⁵⁾ ويضرب في أن الإشاعة تسري بين الناس فلا تنتهي إلى أحد، قد استمد المثل دالته من باب بغداد كون أبواب بغداد دائما ما تكون مشرعة كونها عاصمة الدول الإسلامية ومركزا تجاريا وسياسيا مهما.

- (8) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي البغدادي، تقديم الشيخ محمد رضا الشيبلي، مطبعة أسعد، بغداد، طبع بمساعدة وزارة المعارف العراقية، 1962 م ، 1: 162.
- (9) نفسه: 1: 163. وتعني كلمة (مَيْك) الماء، والكوز: الإناء الفخار الذي يوضع فيه الماء ليبرد(الجب).
- (10) ينظر تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: 5: 144.
- (11) الأمثال البغدادية 1: 167. وقوله خلي العسل: أي دع العسل ، وقولهم لما تجي أسعاره، يعني لما يجيء وقت يباع بأسعار مناسبة وعالية.
- (12) نفسه 1: 186. و(المركة) هي المرقعة، و(حركته) تعني حرقة القلب او الكمد وسوء الحال.
- (13) نفسه 1: 242.
- (14) العلاقة بين الدين والمجتمع، مظلوم هادي ، مقال على شبكة الانترنت <https://xeber24.org/archives/194294>.
- (15) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي 1: 41. وقولهم: "اشخلى" يعني ماذا ترك؟
- (16) نفسه 1: 282. وقولهم: "قال" هي فأل مخففة وهي ضد الطيرة، والجمع فؤول... وتفاءلت به وتفاءل به؛ قال ابن الأثير: يقال تفاءلت بكذا وتفاءلت، على التخفيف والقلب، قال: وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً لسان العرب مادة (فأل) 11: 513.
- (17) الأمثال البغدادية 1: 291.
- (18) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت 541هـ) دار ابن حزم : 945
- (19) ينظر التمايز الطبقي في الخطاب النقدي والأدبي: دراسة في سيوسولوجيا الأدب مصطفى محمد بن مايبا، جلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 17 العدد 2(أ): 266.
- (20) الامثال البغدادية: 1: 215، والمقصود: ما العصفور وما مرقتة؟" وهو استفهام استنكاري.
- (21) نفسه: 1: 228.
- (22) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (711هـ)، دار صادر بيروت، مادة (صعلك) 10: 455.
- (23) ينظر التمايز الطبقي في الخطاب النقدي والأدبي: 266.
- (24) الامثال البغدادية: 1: 286. و(الفكر) هو الفقر، و(ميتعدى) لا يتجنى وإنما يكون الفقر جزاء لهم.

3. تمثل المرجعيات الدينية دولا ثابتة في عقيدة الشعوب وكان حضورها واضحا في الامثال البغدادية، واستمدت ذلك من تقديس الشعب العراقي لتلك المرجعيات.
4. يمثل التمييز الطبقي أكبر الظواهر التي تعاني منها المجتمعات وهو ظاهر اجتماعية معروفة، استغلها المتكلمون ووظفوا دقائقها في الأمثال البغدادية كي تؤدي مقاصد مستمدة من تلك الظاهرة.
5. الحرف والصناعات جانب مهم جدا من سيوسولوجيا الشعوب، واستعملتها اللغة وخصوصا في الأمثال البغدادية لتؤدي دلالات معينة ضمن سياقات خاصة، استمدت تلك الدلالات من اختلاف نظرة الشعب العراقي لتلك الحرف والصناعات.
6. تحكم المجتمع العراقي أنظمة اجتماعية خاصة تنظم طريقة تعامل الأفراد مع بعضهم، وتختلف نظرة الشعوب لتلك العلاقات باختلاف تلك المجتمعات، وقد ظهر ذلك واضحا في الامثال البغدادية، التي عكست تلك الاعراف والقوانين .
- الهوامش :**

- (1) ينظر اللغة، فنديرس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014 ، 231.
- (2) ينظر علم اللغة الاجتماعي، النشأة والمفهوم، سمية جلاليلي مجلة اللغة العربية، مجلد 21 العدد 46 2019: 120.
- (3) ينظر قضايا ألسنية تطبيقية، ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ط 1993 : 9.
- (4) ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي: 86
- (5) ينظر نفسه : 299.
- (6) ينظر البنيوية وما بعدها النشأة والتقبل د. سامر فاضل الاسدي: 190.
- (7) الثابت والمتحول في طقوس الغذاء أثناء الضيافة في المجتمع التونسي: مقارنة أنثروبولوجية، مجلة الثقافة الشعبية د. عبد الكريم براهمي. <https://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=36&page=sh> .
owarticle&id=684

- (25) نفسه: 2: 32. قولهم "كالو" يعني قالوا، والزنكين ((الغني)).
- (26) نفسه: 2: 34. والمتخوم من التخمة.
- (27) نفسه: 2: 50. و(الجبير) الكبير.
- (28) ينظر الحرف والصناعات نشأتها وأهميتها في المجتمع الاسلامي، د. مرزوق بتة، المجلة التاريخية الجزائرية المجلد: 3، العدد: 01، جوان: 2: 48.
- (29) الأمثال البغدادية 1: 34. و(كعد) قعد أو جلس وال(جلب) هو الكلب.
- (30) نفسه 1: 34.
- (31) نفسه 1: 38، وال(حايج) الحائك، و(كتلوا) قتلوا. والفارة قصبة تلف عليها خيوط اللحمة وهي من أدوات الحياكة.
- (32) نفسه 1: 99. وقولهم: (عالجتاف) يقصد على الاكتاف.
- (33) نفسه 1: 172.
- (34) ينظر المخاطر الاجتماعية للبطالة في المجتمع العراقي م.م مؤيد منفي محمد الدليبي، جلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية العدد الثاني: 330.
- (35) الأمثال البغدادية 1: 230. والحبس الخاتم، والصنعة (بالإيد) المهنة اليدوية.
- (36) نفسه 1: 235. وقولهم (تاهمة) تاهمة و(بسوك) بسوق وال(صفافير) الصفارين.
- (37) نفسه 1: 239. وقولهم: (مياكل) لا يأكل.
- (38) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي، دار الساقى، ط 4، 2001م، مج 7: 55-56.
- (39) الأمثال البغدادية 1: 123.
- (40) نفسه 1: 161.
- (41) نفسه 1: 211.
- (42) نفسه 1: 266. وال(بنية) البنت.
- (43) الدر المنثور 2: 531.
- (44) الأمثال البغدادية 1: 224.
- (45) نفسه 1: 316.
- (46) نفسه 1: 126.
- (47) نفسه 1: 190.
- (48) نفسه 1: 196. والزوان ضرب من الحبوب الرديئة تنبت في مشاتل القمح والرز، والجب، ما يجلب من خارج البلد.
- (49) نفسه 1: 202. و(تغرك) تغرق، و(ملاليجها) جمع ملاح وهو قائد السفينة.
- (50) نفسه 1: 203. وقصة المثل أن رجلا يحمل بطيخا بادره رجل بالسلام فرد عليه وشتمه، وعندما سأله ابنه المرافق له عن سبب شتم الرجل، قال له: ربما جاء بعد السلام كلام وبعد الكلام طلب لبعض البطيخ الذي أحمل، فأردت ان اقطع ذلك.
- (51) نفسه 1: 218.
- (52) نفسه 1: 218. يراد بالجاهل الطفل الصغير.
- (53) نفسه 1: 226.
- (54) ينظر تأويل الحيوان في الحكاية العربية والفرنسية دراسة مقارنة، مصطفى بوخال، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2015: 75.
- (55) الأمثال البغدادية 1: 89. و(البزون) القطة.
- (56) نفسه 1: 101. ومعناه لو كان خير في البومة لما تركها الصياد.
- (57) نفسه 1: 101. وضرك البومة ذرقها (فضلاتها) ويطلق على فضلات الطير عامة، و(تكول) تقول، و(ليش) لماذا و(اشراح يصير) ماذا سيصبح؟
- (58) نفسه 1: 116.
- (59) نفسه 1: 124.
- (60) نفسه 1: 124.
- (61) نفسه 1: 125. وقولهم (جا) جاء، و(كرون) قرون و(كصوا) قصوا.
- (62) نفسه 1: 169.
- (63) الزمان والمكان والتعبير عن الوعي، ابراهيم أبو عواد، مقال منشور على الانترنت، شبكة النباء المعلوماتية. <https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/30133>
- (64) الأمثال البغدادية 1: 112. والمعظم والكرادة حيان في بغداد. والتبل لما يقع على الشيء فيكون لصيقا به.
- (65) نفسه 1: 82. و(حلوك) أفواه.
- (66) نفسه 1: 291. و(قحط) كلمة عامية تعني ليس نادرا.
- (67) نفسه 1: 296. و(عفج) مدينة في محافظة القادسية، و(الركاع) الرقاع أو الاسكافي.
- (68) نفسه 2: 13. و(كولة) مقولة او كلمة، و(كلمن قهونو من كيسو) كل شخص يدفع ثمن قهوته من جيبه.

مصادر البحث

القرآن الكريم

أولا: الكتب

- الحرف والصناعات نشأتها وأهميتها في المجتمع الاسلامي، د. مرزوق بته، المجلة التاريخية الجزائرية 1 لمجلد: 3، العدد: 01، جوان 2019.
- علم اللغة الاجتماعي، النشأة والمفهوم، سمية جلاليلي مجلة اللغة العربية، مجلد 21 العدد 46 2019.
- المخاطر الاجتماعية للبطالة في المجتمع العراقي م.م مؤيد منفي محمد الدليهي، جلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية العدد الثاني 2010.
- ثالثا: المواقع الالكترونية
- الثَّابِت والمتحوِّل في طقوس الغذاء أثناء الضيافة في المجتمع التونسي: مقارنة أنثروبولوجية، مجلة الثقافة الشعبية د. عبد الكريم براهمي.
- <https://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=36&page=showarticle&id=684>
- الزمان والمكان والتعبير عن الوعي، ابراهيم أبو عواد، مقال منشور على الانترنت، شبكة النبا المعلوماتية. <https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/30133>
- العلاقة بين الدين والمجتمع، مظلوم هادي ، مقال على شبكة الانترنت <https://xeber24.org/archives/194294>
- الأمثال البغدادية، جلال الحنفي البغدادي، تقديم الشيخ محمد رضا الشبيبي، مطبعة أسعد، بغداد، طبع بمساعدة وزارة المعارف العراقية، 1962 م.
- البنيوية وما بعدها النشأة والتقبل د. سامر فاضل الاسدي، الدار المنهجية للنشر والتوزيع ، عمان، ط1 ، 2015.
- تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت 541هـ) دار ابن حزم.
- تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) دار الفكر ، بيروت 2011.
- قضايا ألسنية تطبيقية، ميشال زكريا، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ط1 1993
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (711هـ)، دار صادر بيروت
- اللغة، فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي، دار الساقى، ط4 ، 2001م.
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيتته بارتشت، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط2، 2010.
- ثانيا: البحوث
- تأويل الحيوان في الحكاية العربية والفرنسية دراسة مقارنة، مصطفى بوخال، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة تلمسان ، الجزائر، 2015 .
- التمايز الطبقي في الخطاب النقدي والأدبي: دراسة في سيكولوجيا الأدب مصطفى محمد بن مايا، جلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 17 العدد 2 (A) 2020.

The pragmatic context of Baghdadi proverbs, a sociolinguistic study

Dr. biasm Khairy Khudair

Abstract:

The present study lies within the field of sociolinguistics or those studies that link the social aspect of life and its representation in the spoken language. We chose our a data that was written in an important age which is 'the Baghdadi proverbs' that were prevalent at

the beginning of the twentieth century and collected in the book of "Al-Amthal Baghdadia" by Sheikh Jalal Al-Hanafi Al-Baghdadi. In this paper, we extracted the social phenomena in the proverbs that were embodied through the linguistic indications used by the speakers in special contexts derived from the context of the indications of those proverbs. We analyzed these phenomena through the context of their pragmatic use and their sociological impact on the formation of these connotations, and their expression of the intentions of the speakers.

Keywords : Baghdadi proverbs , context , pragmatics , social phenomena, sociolinguistics.